نخبة من ديوان ابراهيم الحكيم الحلبي

بقلم عيسى اسكندر افندي المعلوف اللبناني (تابع)

وقال في الحب الالهي والابتعاد عما سواه مادحاً مريم البتول وذلك سنة ١٧٤٢ وهو في حلب وهي واحد واربعون بيتاً تخيّرنا منها هذا:

ألا في سبيل الله عمرٌ مضى هدرا ... وقد ضاع في ما ليس يكسبني شكرا
وأسرفت اياي سدى في هوى الأولى ... اروني الجفا والصدَّ والبعد والهجرا

الى ان قال:

يروع الذي حقاً بسفك دمائهِ ... لفرط اشتداد الحب اقدى الورى طرّا
وجاد علينا بالوجود وغيره ... من النعم الفضلى بما يعجز الذكرا

الى ان قال:

وهذا الذي يعطي محبيه انساً ... وعوناً وتعزية (١ على الضرّا والسرّا
فسِرْ بي ورا هذا الحبيب الذي به ... تنال حياة الروح دنياك والأخرى
وواظب على تحصيله ان تكن فتى ... ولا تخشَ في ذا الحبّ ان تخسر العمرا
ودع عنك كل محبة (٢ عالميّة ... تفيدك اتعاباً ,اذا لم تفد شرّا
وابذل لهذا الحبّ ما عزّ في الورى ... وما جلّ من مال وجاه وما سرّا

الى ان يقول في مديح العذراء مريم:

اسيّدتي اني ببابك واقفٌ ... اسيرٌ وفي ذا الباب استعذب الأسرا
واني قصدت اليوم اعتاب فضلك(٣ ... وما لي انثنا عنها ولو اخسر العمرا

الى ان يقول:

فقومي لنصري وانثلي مدنفاً هوى ... ببحر الشقا بل خاض واستوطن الغمرا

الى ان ختمها بقوله:

وهذي اجتهادات الاب عني وسكّني ... تفاقم خبط الابن بل مهّدي العذرا
وردّي لي الروح المزيّ لانهُ ... لفرط الشقا عن مضجعي النوم قد فرّا
وعيدي (٤ رضى الثالوث نحوي لعلني ... بحسن اختتام العمر استقبل الحشرا

---

١) ولو قال «وسلواناً» لكان اولى
٢) ورد له كثير من مثل هذه الجوازات العروضية
٣) اورد كثيراً اشياع غير ضمير الغائب وهو محظورٌ
٤) الاولى (أعيدي)

وقال أيضاً في الحب الالهي مهنئاً عشّاقهُ وطالباً من لدنه ان يعرفه هـذا الخير سنة ١٧٥٤ م من قصيدة جمعت اربعة وعشرين بيتاً منها :

هنيئاً لقلب انت يا رب زائرهُ وطوبى لصبٍّ انتَ يا حبُّ عاذرهُ
وسقياً لمشغوف بكم طول عمره براك إزاء كلما شاء خاطره
ورعياً لمشتاق اليكم ولم يزل ينـال الذي ترجوه منكم ضمائره
فمن ذلك الحبُّ السعيد الذي حوى حبيباً له لا زال طبعاً يناظره
ومن ذلك الحبُّ الذي دام حاضراً الى وصل من سواه بل لا يجاجره

الى ان قال :

ولم أُبدِ حتى الان اثار توبة ولم يبقَ في ذا العمر الّا نوادره
ومنها: ويا رب أطرد منهُ ما لا تحبُّه وابعد منه (١ كل شر يخاسره

وقال يبين سرّ تجسد الاقنوم الثاني ومحبته للجنس البشري ورغبته في خلاصهم الخ معارضاً الحريري وذلك سنة ١٧٥١ م وهي سبعة وعشرون بيتاً آثرنا منها بعضها :

من الذي ما ساء قطْ ومن لـهُ الحسنى فقطْ
سوى يسوع الناصري قد جاء في هذا النمطْ
لهُ الحماسن (٢ كلها من غير نقض او شططْ
اكرم بهِ مولىً لقرط وداده (٣ فينـا ارتبطْ
كيا يقيم ابا الورى من كان قدماً قد سقطْ
واراق كل دمائهِ ليقيم جنباً قد هبطْ
وغدا يحـاول ودّنا ويدي (٤ الحنوّ لنا بسطْ

الى ان يقول مشيراً الى نتيجة العصيان :

كم نستحق من العقاب وكم يحيط بنا سخطْ
يا ربّ لا تسمح بنا أن يعترينا ذا الغلطْ
بشفاعة البكر التي لم يعترها النقص قطْ
كلّا ولا كف المشيب ولا العيب بها وخطْ

---

١) الاولى وضع (الحي) بدل (منه) ليستقيم الوزن

٢) التبس عليه مجزوء الرجز بمجزوء الكامل فخلط بينهما ويمكن وضع (المعالي) عوض الحماسن فيستقيم الوزن

٣) لو ابدل هذه الكلمة « بوده » لاستقام الوزن الذي ارادهُ وهكذا في ما يليه

٤) الاولى (ويد) باسقاط الياء

بـل في مباشرة التقى لم ترتضِ الحال الوسطْ
لكنهـا وقت العلى مع كل جوقٍ قد هبطْ
حارت اولو الالباب في ما قد حوتهُ من غُبَطْ
بل اعجز التحرير إحـصا نتها لمـا ضُبطْ
فلذاك قالوا مذ رأوا الحيرات منها تُلتقطْ
هذي التي لم تأسَ (١ قط وصنعهـا الحسنى فقطْ

وقال يثبت مجيء السيد المسيح وذلك سنة ١٧٣٧ وهو في حلب وهي ستة وستون بيتاً منها :

لقد بانت من الله العلامـه ونشاع بارضنا صوت اليامه
وقد لاح الهدى للكون طرًّا واخفى الكفر بل انفى قتامه
واعطى الله مجدًا في الاعالي وفي الارض المسرة والسلامه
وقد وافى مخاضنـا المرجى وفي آدمًا وطفى ضرامـه
ومذ شام المواعيد استتمت وقد كملت رموز اولي الزعامه
فكمّل ما بداهُ بانبياهُ (٢ واوفى الوعد بل اضى كلامه
وقد ضج الهدى وازاح عنا ضلال الكفر حين اضا ظلامه
وصالحنـا مع الولى وتقى فـاد الكون بل اردى زوامه
واهدى شعبه للحق لمّا انار ظلامـهُ وشفى سقـامه
رايدى المعجزات لديه جهرًا كذا الايات اضاها امامـه
كم برص وخرس قد شفاهم وكم من مقعد ابرا سقامـه (٣
وفتّح عميهم وشفى صمـاهم وانطق من به قرط البكامه
وكم من مقعد (٤ ومصاب جنٍّ شفى منهم وكم ميت اقامـه
وقد نال الورى منه مناه وفاز بما ترجـاهُ ورامـه

الى ان قال مخاطباً اليهود :

وموسى قال يأتيكمُ نبيٌّ كمثلي منكم استمعوا كلامه
وشيا قال ها هوذا بتول ترى حبلى وهذي هي العلامه (٥

---

١) اراد لم تسَ فلم يوافقه اللفظ
٢) ولو قال : (أتمّ الوحي من فم انبياهُ) لتخلّص من هذا الاضطراب
٣) يكرر القافية بعد اقل من سبعة ابيات في كثير من المواضع
٤) يكرر المعاني والالفاظ في بعض المواضع
٥) يتصرّف كثيرًا بضمير الغائب المذكر والمؤنث المنفصلين

وفي سبعين سابوع (١ يوافي مسيح الله يعطي الاستقامه
ويأتيه ملوكٌ بالهدايا لنجم كان متجهًا امامه
فها هوذا الاسابيع استتمّت وقد جاء الذين نرجو دوامه
وقد بطلت ذبائحهم وزالت ضحاياهم فحتّى لا حمامه
وهوذا (٢ قدسهم اضحى خرابًا كذاك وملكهم بلغ انعدامه
وباد بخورهم مع محرقات كذا الكهنوت قد حاز انصرامه
وقد وفد الصبيّ المدعوّ رسلا وربُّ الدهر والاهُ السلامه
وها من بيت لحم قد اتانا مخلصنا الذي فيه القيامه
ووافاه ملوك الفرس كيا لهُ يحثوا ويبطوه الكرامه
ولما بين حيوانين شاؤا ال اله بسجود عرفوا العلامه
واهدوهُ لبانًا ثمّ مرًّا كذا وسجدًا وجثوا أمامه
وعادوا في طريق لم يمرُّوا على هيرودس يطفوا (٣ ضرامه
وها هيرودس من فرط خوفٍ قضى قتلًا على صبيان رامه
وهوذا البكر قد حبلت وولدت وفي بلادها حزنا السلامه
وفيه صالحتنا بعد غيظ مع المولى وقد نقت الزمامه
ولكن يا لميلاد عجيب به طبع الملا اخلى نظامه
فمن ذا قد رأى العذراء حبلى وبرضعة وذاك بلا ملامه
ولم تعرف فسادًا بل زواجًا بدون الشك بل زادت كرامه
فيا لله من بكر تسامت على كل الملا وعلت شهامه
فهذي جرّة المنّ استفاضت وفاض نداوها فيض النعامه
وهذي جرّة المن استفاضت على كل الملا وعلت شهامه
وهذي هي عصا هارون ازرت نضارتها بيانٍ مع خزامه
وهذي غصن زهرة اصل يسّى عليها الروح بادٍ كالحمامه
وهذي قبة العهد التي قد غدت تجثو لها اهل الزعامه
وذي الباب الوصيد المارُّ فيه اله العرش لم يُفضض ختامه
وهذي هي عمود الصبح اهدت لاهل التيه بل هذي النعامه
وهذي (٤ منارة الاقداس اضحت تنير الكون ثمّ تقضي ظلامه
وذي عليقةُ موسى راى في ذراها النار لم تحرق كمامه

---

١) لو قال اسبوع لكان اقرب الى النهم
٢) يكن لغير مسوغ
٣) كثيرًا ما يحذف نون الاعراب بحالة الرفع وهي لغة العامّة
٤) الاولى (وتلك) ليستقيم الوزن

وهذي سلّم اسرائيل التي طيه الله موكى كالدمامه
وهذي النجمة الغرّاء ضاءت بليل الكفر كي تنفي قتامه
وذي باب السما وطريق عدن وجسرٌ ناقلٌ نحو السلامه
سفينة نوح والمرسى وبينا الـ رجا والامن في يوم القيامه
خزانة حكمة الله العلية (١ بما قد شاءه المولى ورامه
وكرسي مجده المحبوب منهُ وكنز غناه الحاوي الفخامه

ثمّ انتقل الى مدح العذراء وكلها رشيقة منسجمة وهي من محاسن قصائده. وقال مضمناً بعض نوافل من عبادة قلب يسوع وذلك سنة ١٧٣٢ م وهو في حلب وهي سبعة وعشرون بيتاً اليك بعضها :

يا ايها القلب الالهي الاقدسُ يا منبع الجود الذي لا يُحبسُ
يا منهل الفيض الذي بوروده ماء الحياة لكل من يتقدّسُ
يا منبر الثالوث بل يا هيكل اللاهوت والنار التي لا تُلمسُ
يا مقدس الاقداس والكنز الذي خيراتهُ مَن امّها لا ييأسُ
يا مصدر الجود الذي عمّ الورى خيراً تكلّ اللسن عنهُ وتخرسُ
انت الوجود وانت عين الجود بل انت الحياة لكل من يتنفسُ
انت الجمال بل الكمال باسره ولهذه الاوصاف تنو الانفسُ
انت الحبيب وانت عين الحب والحاوي الكمالات التي لا تنكسُ
انت الذي اضرمت نار الحبّ في قلب الذين هويت ان يتقدسوا
اضرم بقلبي هذه النار التي تحيا القلوب بها وتحلى الارؤسُ
ارجوك يا مولاي قبل الموت ان تعطي عُبَيْدَك ما به يتهجسُ
ان ترتضي قلبي لتملك منحةً وذبيحةً حسناء لا تتدنسُ

الى ان قال :

هذا الذي من اجله خلقت هياكلها الى قاع الحضيض الانفسُ
هذا الذي من اجله قد غادرت جنانها طعم السرف الاروسُ

وقال موشحاً في القربان المقدّس سنة ١٧٥٣ في حلب وهو عشرون بيتاً منها قولهُ :

جد لي الهي ان تشا بوليمة منها نشا
سرٌّ عجيب ادهشا عقل البرايا مذ فشا

الى ان قال : نحن ننال بها المنى ونفوز غايات المنى

(١ الاولى ان يقال (ارتفاعاً) ونحوها

وهي النجاة من الضنى وخلاصنا منها نشا

راح بدت بيد القوس يزري سناها بالشموس
من شاها تحيي النفوس وتعيد ميتاً منهشا

راح بها روح الاله مع جسمه الحاوي دماه
وبها الحصول على النجاه وهي الحياة لمن يشا

وهي الفداء الجوهري وشراب كل مطهّر
فاروي بدمٍ مكرٍ واسكر به دون اختشا

خبز وخمرٌ لا جرمْ صيرها لحماً ودمْ
وغدا بيعهما كرم للراغبين بلا رشا

يا رب من قبل الحمام جد واسقنا من ذا المدام
واجعل به حسن الختام كيلا تعود ان تعطشا (١

وقال موشحاً يمدح به سبعة اسرار البيعة والرسل الاطهار معارضاً الموشحات الاندلسية وذلك سنة ١٧٤٠ م وهو في حلب. وهي سبعة وخمسون بيتاً هاك بعضها :

كلما البيعة ابدت قبسا يا خليلي من مناها اقتبس
ومن الإلحاد كن محترسا فضلٌ من صن ذاك لم يحترس

ذي عروس الله لما وُحدت قُدّست بعناية (٢ الابن الوحيد
وبجسم أبنائها قد حُمدت في جميع الارض بالراي السديدْ
وزهت في رسلها وانفردت في الورى بسمو ذا (٣ الفعل الفريدْ
فلذاك الله فضلاً قدّسا كلما فاهت بروح القدس
وبها الاسرار سبعاً غرسا يجتني منها ثمار القرس

نعمْ اولها سرُّ السادْ في ابتدا امرك كن فيه عبدْ
كم خطايا الجد من طفل اباد رخطايا كل موعوظ يبيدْ
وكذا المبرون تثبيتاً افاد ثم تأييدٌ وتوطيدٌ يفيدْ
فاتخذ منه وشاحاً وكُسى ان ترُمْ يا صاح عوناً تكفي
فهو يقصي عنك ما قد لبسا وهو اسنى من اجلّ الملبس

ثم بالكهنوت كن مبرّاً حكم تلقى فيه يتابع الحكمْ

١) الاولى ان يقول (كيلا تعود تعطشا)
٢) سكن العين وهي ضرورة قبيحة ويمكن التخلص منها بقوله (في نعمة)
٣) لو قال (بسمو جا) بدل (بسمو ذا) لاستقام الوزن وتخلّص من الضرورة القبيحة

وبه ترق الى دار النعيم وتنال الفوز مع فيض النعم
واحذرن الّا تكن فيه سقيم لتداوي فيه انواع السقم
وتواسي مدنفاً قد ايسا من شفاه ثم لم (١ ييأس
وتماني حلّ ماسور الاسى وتبرّي ذلك الغمر المي

ثم تقي باعترافك (٢ آثما ان نوى التوبة عن فعل أثيم
واجعلنه عن خطاه نادما كي تصيره لمولاهُ ندم
واعطه الكاس المفيض مكارما (٣ بسخا صانه الرب الكريم
عندما اياهُ كان مقدما في العشا السري بيت المقدس
حين اعطاناه قوتاً وحسا للحيوة فخاب (٤ من لم يحتس

كم لزيت المرضى (٥ من سر عجيب قد رأينا منه ايات عجاب
كم شفا من مدنف مضنى كئيب وراى الغبطة بعد الاكتئاب
ثم في الزيجة اطفاء اللهيب والتوقي من جحيم الالتهاب
ان يكن بكراً عدم (٦ الدنسا ورداهُ بالندى لم يدنس
ياخذ النعمة صبحاً ومسا ويباركهُ الله لم يبي

وقال يمدح العذراء مريم ويعاتب نفسهُ وذلك سنة ١٧٥٣ م وهي سبعة وعشرون بيتاً مطلعها:

اذا ما افترّت الاسنان مني بكت عيني ولامتني على ذا
وقلبي ان يسرّ لبعض امر ابت نفسي وقالت لي لماذا
زمان سكر الزمان وطبتُ نفساً صحا دهري وقال علامَ هذا
قتلتُ اجل وكان الضحك مني سدىً وسفاهةً وبدا شواظا
فكم من ضاحك من سوء عقل ومن دامٍ (٧ للقلب آذى
وكم تبدو لنا الاطيار رقصاً اذا ذبحت وهجنها جذاذا (٨
وهل يفترُّ ثغراً من وراهُ سهام الموت نافذةً جراذا (٩
وبعد الموت سوف يقوم كلٌّ لدى المولى نجيباً عن لماذا

١) الاولى لمّا ٢) الاولى باعتراف
٣) وزنه محلّ ٤) الاولى (لحياة خاب)
٥) الاولى (كم لزيت المسح)
٦) الاظهر (عدماً دنسا)
٧) وزنهُ محلّ ٨) الاولى ان يقال (وقد قطعت جذاذا) ونحوه
٩) المشهور انها بالزاي (بمعنى القاطعة)

لذاك أني (١ سليف الحزن دهرًا بفيض مدامع تجري رذاذا
على ما قد صنعت من المعاصي واغضبت الاله المستعاذا

ثم انتقل الى مدح العذراء بقوله:

وقد اوشكت قطع رجاي لولم تقم لي مريمٌ اقوى (٢ ملاذا
بتول لم يقم في الكون خلق رفيعٌ مقامها وازى وحاذى
بتول اصلحت بين البرايا وبارجها وقد قامت مهاذا
بتول مرضعٌ بكرٌ وحبلى فيا فه من قد شام هذا
وما ردَّت شفاعتها بمره ولا سمعت على فعلٍ لماذا

سياحة اسقفيَّة الى بلاد بشارة

لحضرة الرسل اللبناني الفاضل الخوري ابراهيم حرفوش (تابع)

٤ الى عين ابل

لما انتهى سيادة المطران شكر الله من زيارة ابنائهِ في الناصرة استأنف الرحيل الى بلاد بشارة لعلمهِ بان اهلها تفرغوا من اعمالهم الزراعيَّة فاصبحوا في استعداد تام لاستقبال استقفهم المفضال. فسافرنا من صور في مساء الاربعاء الواقع في ٢٣ آب ١٩٠٦ وجهتنا الجنوب الشرقي فسرنا وحولنا موكب من اعيان البلدة ممن أشربت قلوبهم محبَّة راعيهم المفدَّى. فسرنا في ليلة صافية الاديم عليلة النسيم قامت نجومها الزُّهر متسام نور البدر فتذكرنا قول الشاعر:

سرى نحونا ليلٌ كأنَّ غرمهُ قناديل فيهنَّ الذبال المفتَّلُ

وكانت خيلنا تنشط للسير في اوَّل الشوط وتنشب سنابكها في كثبان الرمل فلا يسمع لوطأة اقدامها صوت

ثم دخلنا بعد هنيهة في فناء من الارض كما يقول العرب لا حزنٌ ضرس ولا سهل دهس تسارعت في قطعهِ الجياد. فمررنا اول قريباً من اثر قديم يعرف باسم قبر حيرام تضاربت الاراء في حقيقة نسبتهِ ثم لجزنا قرية قانا وهي غير قانا الجليل الواقعة في جوار

(١ لو قال (لنا إني) لتخلَّص من ضرورة وصل الهمزة
(٢ لو قال (مريم العذراء ملاذا) لكان اول واصحّ